مجلة دراسات معاصرة؛ دورية دولية نصف سنوية محكّمة تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر

تاريخ الإرسال: 23 مارس 2018 تاريخ القبول: 21 جوان 2018

التداولية بين الاتجاه اللساني و تحليل الخطاب

الباحثة: عرابي غالية
جامعة ابن خلدون تيارت الجزائر
إشراف الدكتور: عزوز ميلود

الملخص:

تعرف التداولية بأنها دراسة المنجز اللغوي أثناء الاستعمال، أي دراسة اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، باعتبارها كلاما محددا صادرا من متكلم محدد، وموجها إلى خطاب محدد، بلفظ محدد في مقام محدد لتحقيق غرض تواصلي محدد، سواء أكانت تلك اللغة نصا أم خطابا، هذا الأخير – الخطاب- الذي يعتبر أكثر دلالة على الاستعمال والاستخدام من النص، إذ يقوم على دراسة الاستعمال الفعلي للغة، من خلال متكلمين فعليين في مقامات فعلية.

وعلى ضوء هذا يهدف بحثنا إلى كشف الأبعاد التداولية في الخطاب الأدبي وفق أسس نظرية أفعال الكلام، التي أرسى دعائمها سيرل (Searl) وأوستين (Austin)، وكذا الملفوظية باعتبارها خطابات مؤداة، بالإضافة إلى الحجاج الذي يعتبر استمالة للمتلقي لما يعرض عليه بغية تحقيق غاية. من هنا نتساءل: فيم تتمثل الأبعاد التداولية اللسانية ؟ وإلى أي حدّ يمكن أجرأتها على مستوى الخطابات؟

الكلمات المفتاحية: التداولية – الخطاب الأدبي – تحليل الخطاب – أفعال الكلام – الملفوظية- الحجاج.

Pragmatics between Linguistic Orientation and Discourse Analysis

Abstract

Pragmatics is defined as the study of linguistic accomplishment during use, i.e., the study of language when used in different situational layers, considering it as specific words from specific speaker, and addressed to a specific discourse, by a specific term in a specific situation to achieve a specific communicative purpose whether that language is a text or speech. The latter-speech- is more indicative of the use and utilization of the text. It is based on the study of the effective use of language through tactual speakers in effective situations.

In light of this, our research aims at disclosing the pragmatic dimensions in the literary discourse in accordance with the theory of the acts of speech, which Searle and Austin laid down it foundations as well as utterances as performed speeches. In addition to the argumentative which is considered as an inducement of the recipient to what is displayed to him with a view to achieve a purpose. Hence we wonder, what are the pragmatic dimensions represented in? And to what extent can their procedures be at the level of the discourses?

Keywords: *Pragmatics, literary discourse, discourse analysis, speech acts,*

في مدارات التداولية (*Pragmatics*) وتحليل الخطاب (*Discourse Analysis*):

الدراسة التداولية هي امتداد للدراسة الدلالية، إذ تجاوز الدرس التداولي الاهتمام بنوايا المتكلم (*Speaker*) أو الملقي ومقاصده، إلى العناية والاعتداد بالظروف المحيطة بإنتاج النص (*Text*) أو الخطاب (*Discourse*) وتلقيه، وهو ما يعرف بالسياق (*Context*) انطلاقا من مكان وزمن التخاطب؛ وذلك حتى تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطَب أو المتلقي (*Recipient*)، وفي إطار وصفها واعتبارها آخر مولود للسانيات فإنها "قدّمت اقتراحات عدة لدراسة اللغة والنص الأدبي على اختلاف أنواعه، حتى يتسنى لها الظفر بالدلالة الكاملة الكامنة في النص ذاته، وفي نفس منتجه ومتلقيه على حدٍ

سواء"[1]، وفي عناصر السياق المختلفة التي تحيط بعملية إنجازه وأدائه كما أشرنا سلفا.

وقد اهتمت التداولية في بدايتها بالخطاب التواصلي؛ لكن سرعان ما اتسع مجال اشتغالها ليصل ويشمل تحليل الخطاب الأدبي، إذ إنّ المقاربة التداولية تسعى للإجابة عن مجموعة من الأسئلة من قبيل: من يتكلم؟ وإلى من؟ ومن أجل ماذا نتكلم؟ ماذا نتكلم أو نقول بالتحديد؟ كيف نتكلم بشيء ونريد شيئا آخر؟ ثم ما الغرض من وراء كلامنا؟ وغيرها من الأسئلة.

ومن المعلوم أن أول استعمال لمفهوم التداولية يعود إلى الفيلسوف الأمريكي **شارل موريس** (*Charles Morris*)، وهي حسبه دراسة اللغة المستعملة "إذ تُعنى في رأيه بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها، والذي استقر في ذهنه أن التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلم والخطاب، وظرفي المكان والزمان (الآن، هنا) والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل"[2].

وهو بهذا يحاول حصر مباحث دراستها، غير أن التداولية منذ ذلك الحين (1938م) وإلى الآن شهدت اتساعا وتطورا في دراستها، سواء على المستوى النظري أو التطبيقي.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر في هذا المقام جهود فلاسفة أكسفورد(*Oxford*)، فالتداولية لم تصبح علما يعتد به إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، عندما ألقى **جون أوستين** (*John Austin*) محاضرات **ويليام جيمس** (*Williams James*) عام 1955م، إذ أنه لم يفكر آنذاك في تأسيس اختصاص فرعي للسانيات، بل كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة، وقد نجح بذلك، بيد أن محاضرات **ويليام جيمس** ستكون كذلك بوتقة التداولية اللسانية والتي ستمثل فيها قطب الرحى طوال ثلاثين سنة"[3].

وفي ظل هذا يبقى استعراض منشأ اللسانيات التداولية ليس بالأمر الهيّن، لاسيما وأنها مدينة لعدد من التيارات الفلسفية، إذ إن لفلاسفة أكسفورد دور مهم في "ربط اللغة بكل ما يحيط بها أثناء التلفظ، فصارت التداولية تهتم بوصف العلاقة القائمة بين المرسل والمرسل إليه أثناء التواصل، وتعنى بالحديث اللغوي لفهم قصد المتكلم"[4].

من خلال ما سبق يتضح لنا أنّ للتداولية دورا مهما في ربط العناصر الأساسية للعملية التواصلية، أو ما يعرف بالأقطاب التواصلية الثلاثة المتمثلة في: المتكلم، المتلقي، والخطاب، وعلى اعتبار الأوّل –المتكلم- ملقيا؛ فإنه لابد من شروط ينبغي توفرها فيما يود قوله، والتي من بينها الكفاءة التداولية وهي عنصر مشترك بينه وبين المتلقي للخطاب، إذ يجب على هذين القطبين مراعاة المعايير والمبادئ الأساسية التي ترسل وتُستقبل عند إنتاج الخطاب، فالتداولية تهتم بوصف العلاقة القائمة بين المرسل والمرسل إليه أثناء التواصل، أما عن الخطاب فإنه في كثير من الأحيان "لا يكاد يختلف عن مصطلح النص، وربما رادفه في بعض الاستعمالات، وإن كان في الخطاب إيحاء بأن النص يتجاوز كونه مجرد سلسلة لفظية بها قوانين لغوية إلى الظروف المقامية"[5]، ومعنى ذلك أن النص تراكيب لغوية مكتوبة تحقق انسجاما على مستوى معانيه، في حين أن الخطاب ممارسة لهاته النصوص وذلك يتطلب منا مراعاة المقام باعتباره الحافز الأول للعملية التخاطبية، وبهذا يكون الخطاب أكثر دلالة على الاستعمال والاستخدام من النص "وبهذا فإن المقاربة التداولية تفرض نفسها على الخطاب، وليس المقاربة اللسانية الصرف، فمقبولية الخطاب مرهونة بسياق استقباله وإنتاجه ،والخطاب ليس معطيات لغوية وبنيات تركيبية ولكن صيرورة معرفية وتواصلية، مما يحتم على اللسانيات أن تترك مجال الخطاب للتداوليات"[6]، فالخطاب موقف تفاعلي و ممارسة اجتماعية تواصلية، ثقافية، دينية، سياسية..إلخ باعتبار هدف أي خطاب هو "التأثير الذي لا يأتي منعزلا عن الفعل التلفظي والإنجازي، من خلال استعمال علامات لسانية وغير لسانية، انطلاقا من معطيات زمانية ومكانية وحتى اجتماعية وتاريخية، مع الأخذ بعين الاعتبار ذاتية المتكلم وقصديته"[7].

يرى **دومنيك مانغونو** (*Dominique maingueneau*) أن الخطاب يقوم على دراسة الاستعمال الفعلي للغة صادر عن متكلمين فعليين، ويجري في مقامات فعلية، إذ يقول بالتحديد: "هو دراسة الاستعمال الفعلي للغة من قبل ناطقين حقيقيين في أوضاع حقيقية"[8]، بينما يجعل تحليل الخطاب الخطاب موضوعا له، ذلك أنه بنية لسانية مستقلة تتطلب تحليلا مخصوصا.

يعتبر تحليل الخطاب فرعا من اللسانيات" لكنه ليس دراسة لسانية خالصة، بل إنه يربط الخطاب بالسياق التواصلي الذي شكّله، أي أنه يربطه بالمحيط الثقافي والاجتماعي والسياسي الذي أسهم في إنتاجه، لأن إدراك المعاني الحقيقية للمنطوقات اللغوية لا يتحقق إلا في سياقات الاتصال الفعلية، فللخطاب دلالات غير ملفوظة تدرك دون علامة معلنة أو واضحة، وقد اتجه البحث في تحليل الخطاب إلى استنباط القواعد التي تحكم الاستدلالات أو التوقعات الدلالية، وهو مايصل حقل تحليل الخطاب بحقل آخر هو نظرية الأفعال الكلامية"[9].

نظرية أفعال الكلام (*Speech act*):

يندرج مصطلح أفعال الكلام ضمن أهم المفاهيم في الدرس التداولي العربي والغربي، "إذ يعتبر نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، ومفواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري"[10]، والملاحظ من خلال هذا القول أن كل ما يقال –باعتبار أن الملفوظ يستلزم قولا فهو عملية تلفظية لمجموعة من الأقوال- يتصف بالمادية كونه أداءً أو انجازا يحمل دلالة معينة بهدف التأثير في المتلقي لتحقيق غاية ما، وقد نشأت فكرة أفعال الكلام أو أفعال اللغة من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة، محد الدراسات التداولية وتطورها، والذي هو "أن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق غير لغوي فقط، بل انجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه"[11]، وحري بنا أن نتوقف هنا عند مصطلح حدث اجتماعي، والذي يعني في جوهره وجود شراكة لغوية في الفعل الكلامي بغية تحقيق عملية تواصلية صادرة عن مخاطِب وواردة إلى مخاطَب، مع مراعاة المقام الذي يصدر فيه فعل الكلام، كون القيمة الإبلاغية التي يقصدها المرسل ترتبط إلى حدٍّ كبير بالظروف المحيطة بالعملية التواصلية، "ومن ثمّ فإن الفعل الكلامي يطمح أن يكون ذا تأثير في المخاطَب اجتماعيا أو مؤسساتيا؛ فإنجاز شيء ما يتعلق بردود فعل المتلقي كالرفض والقبول"[12].

أولا: فكرة أفعال الكلام عند أوستين:

لقد نشأ تصور لدى أوستين عن فكرة نظرية أفعال الكلام، إذ توصّل في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم الفعل الكلامي المتكامل (*Act of integral speech*) إلى ثلاثة أفعال فرعية على النحو الآتي:[13]

فعل القول (الفعل اللغوي- *Locutionary Act*):

ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة، ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، ويبرز لنا هنا وجود شرطين أساسيين للفعل اللغوي هما الدلالة الواضحة والتركيب النحوي السليم، وهو ما يستلزم بالضرورة وجود مستويات أخرى على غرار التركيبي والدلالي، والمتمثلة في: المستوى الصوتي، الصرفي، المعجمي ..(مستويات التحليل اللساني)، غير أنّ **أوستين** يسميها أفعالا، الفعل الصوتي: وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة، أما الفعل التركيبي فيؤلف مفردات طبقا لقواعد لغة معينة، أما الفعل الدلالي فهو توظيف هذه الأفعال حسب معاني وإحالات محددة، فقولنا مثلا: (إنها ستمطر) يحتمل أكثر من دلالة، فيمكن أن يُفهم على أنه:

- إخبار بسقوط المطر.
- يمكن فهمه تحذيرا بعدم الخروج في رحلة مثلا.
- يمكن وجود احتمال آخر وهو أمر بحمل مظلة.

إلى غير ذلك من الاحتمالات مما يستدعي بنا الرجوع إلى قراءة السياق لتحديد قصد المتكلم أو غرضه من الكلام.

الفعل المتضمن في القول (*Illocutionary act*):

وهو الحلقة المقصودة في النظرية برمتها، فهو «عمل ينجز بقول ما»، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي القائم على أداء فعل معين، ولذا اقترح **أوستين** تسمية الوظائف اللسانية الثانوية خلف هذه الأفعال: القوى الإنجازية، ومن أمثلة ذلك السؤال، إجابة السؤال، إصدار تأكيد، أو تحذير، وعد، أمر، شهادة في محكمة...إلخ، والفرق بين الفعل الأول **(أ)** والفعل الثاني **(ب)** هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء، في مقابل الأول الذي هو مجرد قول شيء.

الفعل الناتج عن القول (*Perlocutionary act*):

ويتضح هذا الفرع جليا من خلال الكلمات المكونة له، إذ يرى **أوستين** أنه مع القيام بفعل القول وما يصحبه من فعل متضمن للقول (القوة الإنجازية)، فإنّ الفاعل وهو الشخص المتكلم يقوم بفعل ثالث وهو: التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، ومن أمثلة ذلك الإقناع، التضليل، الإرشاد، التثبيط... وهي في الحقيقة ردود أفعال لمتلقٍ تأثر بالقول فكانت ناتجة عنه، لذا سمّاه **أوستين** "الفعل الناتج عن القول" وسماه البعض "الفعل التأثيري"[14].

وقياسا على هذا يمكن أن نميز فعل الكلام (قال بأنّ...)، عن قوة فعل الكلام (احتج بأن...)، أو أن نفصلها معا عن لازمي فعل الكلام (أقنعني بأن...)[15]، ويمكن أن نوجز معنى الفعل الناتج عن القول أنه رد فعل للمخاطَب عكسه تأثير المخاطِب على مشاعره وأفكاره.

ونخلص الآن إلى أن "الفعل اللغوي حسب تحليل **أوستين** يتكون من ثلاثة أفعال تشكل كيانا واحدا مع العلم أن هذه الأفعال الثلاثة يقع حدوثها في وقت واحد"[16]، واستنادا إلى مفهوم القوة الإنجازية قام **أوستين** بعد ذلك بتجميع الأفعال اللغوية في خمس فصائل كبرى تحتوي على:[17]

الحكمية: (الإقرارية- *Verdictives*)

وتقوم على الإعلان عن حكم، تتأسس على بداهة أو أسباب وجيهة تتعلق بقيمة أو حدث، مثال: إخلاء الذمة، وعَد، وصف، حلّل، قدّر، صنّف، قوّم، طبع.

التمرسية: (*Exersitives*)

وتقوم على إصدار قرار لصالح أو ضد سلسلة أفعال، مثال: أمَر، قاد، دافع، ترجى، تأسف، نصح، عيّن، أعلن عن بداية جلسة وأغلق، نبّه، طالب...

التكليف: (الوعدية- *Commissives*)

ويلزم المتكلم بسلسلة أفعال محددة، مثال: وعَد، تمنى، التزم بعقد، ضمن، أقسم ،القيام بمعاهدة، الاندماج في حزب مثلا...إلخ.

العرضية: (التعبيرية- *Expositives*)

وتستعمل في عرض مفاهيم وتبسيط موضوع، توضيح استعمال كلمات، ضبط مراجع... مثال: أكّد، أنكر، أجاب، اعترض، وهب، مثّل، فسّر، نقل أقوالا... وهي أفعال تعرِض مفاهيم مفصلة.

السلوكيات: (الإخباريات- *Behaviors*)

يتعلق الأمر هنا بردود أفعال تعبيرات اتجاه سلوك الآخرين، واتجاه الأحداث المرتبطة بهم، فهي تعابير مواقف اتجاه السلوك والمصير، مثال: الاعتذار، هنّأ، حيّ، رحّب، التعزية، المباركة، اللعنة... وكذلك الاحتجاج، تقوم هذه الأفعال بضبط مكانة أقوالنا داخل الخطاب أو الحديث أو الحوار.

ثانيا: أفعال الكلام عند سيرل

يعتبر **سيرل** (*Searle*) تلميذ **أوستين** (*Austin*) وهو أول من طور فكرته حول نظرية أفعال الكلام، وبعد استفادته من دروسه اقترح **سيرل** بعض التعديلات واستطاع بناء نظرية مكتملة الأواصر، إذ "قدّم شروط انجاز كل فعل، إلى جانب بيانه شروط تحول فعل من حال إلى حال أخرى، وآليات ذلك، وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود"[18]، فقول «من في السيارة؟ لما لم تستعمل جهاز التحكم لإغلاقها؟» يخضع إلى جملة من الاحتمالات لإدراك الفعل المقصود إنجازه، ومنها:

- أن السيارة مصفوفة في الشارع ولا ينبغي تركها مفتوحة فهو يأمرني بإغلاقها.
- الاجتماع سيكون مطولا ولا ينبغي تركها كل هذا الوقت دون إحكام غلقها فهو يطلب مني (بشكل ما) إغلاقها.
- وجدتها مغلقة، إذن أغلقها كما وجدتها فذلك من الأدب فهو معاتبة على سلوكي.

ومما قدمه **سيرل** أيضا أنه أعاد تقسيم الأفعال الكلامية وميّز بين أربعة أقسام:[19]

- فعل التلفظ (الصوتي والتركيبي).
- الفعل القضوي (الإحالي والجملي) .
- الفعل الإنجازي (على نحو ما فعل **أوستين**).
- الفعل التأثيري (على نحو ما فعل **أوستين**).

وسرعان ما أعاد اقتراح خمسة أصناف لها نذكرها موجزة على النحو الآتي:[20]

الإخباريات (*Assertives*): والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما (بدرجات متفاوتة) من خلال قضية *proposals* يعبّر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب، فهي تمثيل للواقع وتسمى أيضا التأكيدات، الأفعال الحكمية، ويتضمن هذا الصنف معظم أفعال الإيضاح عند **أوستين** *Verdictives*.

التوجيهيات (*Directives*): وتسمى أيضا بالأوامر مما يعني أنها تحمّل المخاطَب على القيام بأمرها، وغرضها الإنجازي توجيه المخاطَب إلى فعل شيء ما، ويدخل في هذا الصنف: الأوامر، الرجاء، الاستعطاف، التشجيع، الدعوة، الإذن، النصح، والكثير من الأفعال.. وكثير من أفعال القرارات *Exersitives*، تدخل في هذا الصنف.

الإلزاميات (*Commissives*): وتسمى أيضا أفعال التعهد وهي أفعال التكليف عند **أوستين** حين التزام المتكلم بفعل شيء معيّن في المستقبل وشرط الإخلاص هو القصد بفعل القول، غير أنّ الظاهر هو اتجاه المطابقة بين التوجيهيات والالتزاميات واحد من حيث الإخلاص والرغبة الصادقة في الفعل، فهل يصوّغ لنا هذا ضمّها في قسم واحد؟ والجواب أن ذلك غير ممكن لعلتين: الأولى أن المرجع في الالتزاميات هو المتكلم، أما في التوجيهيات فهو المخاطَب، والثاني أن المتكلّم في الالتزاميات لا يحاول التأثير في السامع، أما في التوجيهيات يحاول التأثير فيه.

التعبيريات (*Expressives*): وهي الأفعال التمرسية عند **أوستين،** وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوفر فيه شروط الإخلاص، وكل ما هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية ويدخل في هذا الصنف أفعال الشكر والتهنئة، الاعتذار، التعزية، الترحيب، وكلها أفعال تعبّر عن حالة.

الإعلانيات (*Déclaration*): وتسمى أيضا بالانجازيات أو الإدلاءات، وهي تكون حين التلفظ ذاته، ولا يحتاج شرط الإخلاص هنا، فالسمة المميزة لهذا الصنف من الأفعال أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، وكمثال على ذلك للتوضيح: فإذا أديت أنت فعل تعيينك رئيسا للوفد أداء ناجحا فأنت رئيس للوفد فعلا، وإذا أديت فعل إعلان الحرب فالحرب معلنة.

بالإضافة لهذا فإن لـ **سيرل** جهودا أخرى على غرار تقسيمه هذا والتي من بينها إثني عشر مقياسا لنجاح الفعل الإنجازي: كفاية الفعل، توجيهه، حالته السيكولوجية... إلخ، وسماها شروط نجاح

فعل القول، بالإضافة إلى تفرقته بين الأفعال اللفظية والأفعال الإنجازية، وقسّم الأفعال الإنجازية إلى صحيحة وضمنية أو مباشرة أو غير مباشرة، وبهذا يكون **سيرل** قد ناقش عدد وفيرا من مباحث نظرية أفعال الكلام التي أرسى مبادئها الأولية أستاذه **أوستين.**

الملفوظية (*Utterance*):

يعتبر اللساني السويسري **شارل بالي** (*Charles Bally*)"**1865-1947**م" أول من أشار لهذا المصطلح في كتابه "اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية"، وتندرج تحت هذا المصطلح مصطلحات أخرى كالملفوظ واللفظ، التلفظ، المتلفِظ، المتلفَظ... إلى غير ذلك من الاشتقاقات اللغوية لهذا المصطلح، ورغم تعددها إلا أن كل واحد منها يشكّل جزء أو مبحثا جوهريا في نظرية التلفظ، و"الملفوظية تقابل الملفوظ بالمعنى الأكثر شيوعا لهذه العبارة مثلما تقابل صناعة الشيء الشيء المصنوع وهي فعل الاستخدام الفردي للسان، بينما الملفوظ يعني نتيجة هذا الفعل"[21].

وإذا ما أردنا الكشف عن جذور قيام هذه النظرية فإنها تعود لـ **إيميل بنفنيست** (*Emil Benveniste*) في شرحه لثنائية اللغة والكلام التي قدمها **دي سوسير** (*De Saussure*)، هذا الأخير الذي يرى بأنّ "وظيفة اللغة تكمن في تقديم المعلومات بواسطة مدونة، أي أنها أداة أو وسيلة تواصل فقط، بينما يرى **بنفنيست** بأنها تتعدى ذلك كونها تطرح قواعد لعب تختلط اختلاطا كبيرا بالحياة اليومية"[22]، وهنا يبرز عنصر التلفظ في عملية إنتاج اللغة.

وقد تعددت تعريفات الملفوظيات فهذا **بنفنيست** يقول: "الملفوظية هي عملية تشغيل اللسان عن طريق فعل استخدام فردي"[23]، وهو بذلك يصف العملية التلفظية بالفردية من حيث الاستعمال، كونها تعتمد على توظيف لسان كل فرد أثناء العملية التخاطبية لمجموعة من الوحدات اللغوية.

- **بين الملفوظ التلفظ:**

الملفوظ (*enunciated*):

ورد في معجم المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب **لدومينيك مانغونو** بأن "التلفظ يُطلق للدلالة على نتاج فعل التلفظ **Utterance**"[24]، أي أنّ العملية التلفظية هي التي تصنع لنا ملفوظا وبذلك تكون هي الفعل، والملفوظ هو الناتج الذي ترتب ونشأ إثر مجموعة من العوامل والأفعال وأبرزها تحقيق التواصل بين المتلفِظ والمخاطَب.

ومن المصطلحات التي تأتي كمتقابلات لمصطلح الملفوظ ما يلي:

ملفوظ/جملة (*Enunciated/ sentence*):

باعتبار "الجملة نوعا من الملفوظ، ويحدد الملفوظ هاهنا بوصفه وحدة إتصالية تبليغية أولية ومتوالية لغوية ذات معنى وتامة من حيث التركيب، كما هو الحال في: رفع القاضي الجلسة- دخل المتهم- ... فهذه كلها ملفوظات"[25]، وفي هذا السياق دائما ميّز **أزوالد ديكرو** (*Oswald Ducrot*) بين الجملة كتركيب من وضع لغوي وبين جملة تسمح بالإبانة عن الملفوظات، فالثانية تتميّز عن الأولى كونها منجزة.

ملفوظ/ نص (*enunciated/Text*):

كذلك الحال بالنسبة للنص، فإنه على صعيد أعلى يعتبر النص أكبر وحدة من الجملة والملفوظ، وما يشدّ انتباهنا هو أن الملفوظ مادي شفوي أكثر دلالة على الاستخدام من النص الذي هو تجريدي ينظر إليه ويحلّل على أساس بنيته المعمارية والتركيبية...

2- التلفظ (*Enunciation*):

يختلف التلفظ عن الملفوظ إذ يعتبر التلفظ هو الفعل والملفوظ هو ما ترتب عن الفعل، وعملية التلفظ زيادة على اعتبارها امتلاك الفرد لنظام اللغة التي يتكلم بها فإنه يخضع لقيود مختلفة والتي لا ربما في مقدمتها تحديد نوع الخطاب الذي ينبغي التلفظ في إطاره، مما يعني أنه يجب العناية بالظروف المحيطة بالعملية التخاطبية، والتي تشكل سياق التلفظ، بالإضافة إلى المقام باعتباره عنصرا أساسيا في العملية التخاطبية، فالتلفظ لا يقوم على المتلفِظ (المتكلم) وحده وإنما هو عملية تفاعل وحوار بين المتكلم والمخاطَب، إذ أنّ التلفظ في جوهره يفترض متكلما يخاطب شخصا آخر لهما اللغة نفسها حتى يتسنى لهم ضمان عدم انقطاع رسالة كل منهما من أجل ضمان فاعلية التحادث، وما نستنتجه مما سبق كله "أن الملفوظية هي عملية إنتاج الملفوظ، ويكتسي تعريفها الطابع العملي حيث تقابل التوظيف الفعلي للغة وتشكلها مجموع العوامل والأفعال التي تسهّل إنتاج الملفوظ بما في ذلك التواصل ذاته، وهو حالة خاصة من حالاتها"[26]، وربما نوجز كل هذا في قولنا أن العملية التلفظية هي فعل إنتاج ملفوظ لساني والتي ينبثق عنها ثلاث خصائص أساسية:[27]

- الملفوظية تكون وفق ما يريده المتكلم.
- الملفوظية خطاب في جوهرها يسمح لنا بوصف العالم.
- تؤدي الخبرة الإنسانية في استخدام اللغة إلى بروز المتكلم "أنا" وهي بذلك تسمح بمرور اللغة من الحالة الافتراضية إلى ما يتطلبه الموضوع.

الحجاج (*Argumentation*):

يعتبر الحجاج من أهم المفاهيم التي وردت في البلاغة القديمة كفن للإقناع والخطابة، سواءا في الثقافة الغربية انطلاقا من الدراسات والعلوم اليونانية، أو الثقافة العربية لعناية العرب آنذاك بالكلام والتخاطب، وقد تولد عن مصطلح الحجاج مفاهيم متعددة منها الجدل، التخاطب، التناظر، الإلقاء، المناقشة، البيان، الإفهام، الإقناع... إلى غير ذلك من التسميات التي تصب في إطار مفهومه، وقبل التطرق إلى مفهوم الحجاج في الفكر الغربي في البلاغة الجديدة كان لزاما علينا أولا تحديد مفهومه لغة واصطلاحا باعتباره بعدا من الأبعاد التداولية في تحليل الخطاب الأدبي.

أ- **الحجاج لغة:** جاء في لسان العرب لإبن منظور: "يقال حاججته أُحاجه حِجاجا ومُحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها...، والحجة البرهان، وقيل الحجة ما دافع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل مِحجاج أي مجادل، وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته، وفي الحديث: فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة."[28]

والحجاج باللغة الفرنسية (*Argumentation*) تدّل حسب معجم **روبير** (*Robert*) على:[29]

- القيام باستعمال الحجج.
- مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.
- فنّ استعمال الحجج أو الإعتراض بها في مناقشة معينة.

والواضح هنا أن روبير جعل للحجاج وظيفتين أساسيتين أوّلها: استعمال الحجج في إثبات شيء معيّن، وثانيها: الاعتراض على أمر ما، والملاحظ من خلال التعريفين السابقين سواء في اللغة العربية أم الفرنسية فإن مفهوم الحجاج واحد يدور كلّه حول الإثبات والدفاع عن أطروحة ما أو الجدال والاعتراض عليها.

ب- **الحجاج اصطلاحا:** أما عن مفهوم الحجاج اصطلاحا فقد تعددت تعريفاته عند بعض اللغويين المعاصرين العرب منهم والغرب، وسنكتفي بأخذ نماذج عن كل صنف عرب وغرب:

يُعرّف **طه عبد الرحمان** الحجاج بأنه: "كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوة مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[30]، والمقصود هنا أن الحجاج عبارة عن خطاب باعتباره دخولا في علاقة مع الغير بهدف الإفهام، مع وجود حق المخاطَب بالقبول أو الاعتراض على الأمر محل الجدال وبهذا يكون الحجاج هو أصل الخطاب كونه يتضمن علاقة تخاطبية قائمة على القصدية، ويمكن أن يفهم الحجاج بما هو مركب منه (حجة *Argument*) "والتي تقدم لمتلقٍ ما لأجل إقناعه بأمر ما أو تعديل موقفه بالاعتراض وتقديم البديل".[31]

*وقد عرفّه **بيرلمان** (*Perelmen*) بأنّه: "دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة الأذهان، أو زيادة تعلقها بالأطروحات التي تعرض من أجل أن تقبلها"[32]، وبهذا يكون مفهوم الحجاج عنده عملية إقناع للمتلقي الغاية منه التأثير فيه حتى قبوله الأطروحة محل الإفهام.

جاء في معجم تحليل الخطاب **لدومنيك مانغونو** بأن "الحجاج هو برهان المرء على أطروحة أو دحضها: فهو ينطلق من مقدمات (معطيات) لا يمكن قبولها دون أن تقبل هذه النتيجة أو تلك، ويتم الانتقال بين الاثنين بواسطة تمشّيات حجاجية تتخذ هيئة تسلسلات حجج بيّنات تطابق إمّا ركائز (دعامات) لقواعد استدلال وإما حركات حجاجية"[33].

وقوله هذا عن مفهوم الحجاج نلخصه في المقطع الطرازي عن التحاجج الذي قدمه على الشكل التالي:

الأطروحة + المعطيات ... دعم حجاجي... إذن من المحتمل... النتيجة.

الحجاج عند بيرلمان:

قبل التطرق إلى مفهوم الحجاج عند **شايم بيرلمان** (*Chaïm Perelmen*) ينبغي الإشارة إلى أنه مستحدث مصطلح البلاغة الجديدة، حيث سعى في كتابه المشهور: «البلاغة الجديدة» إلى الكشف عن جوانب عميقة من الدراسات البلاغية القديمة وتقديمها من منظور حديث، ولاسيما الإعتقاد السائد حول صعوبتها ومفاهيمها المعقدة، فجهد **بيرلمان** يرمي إلى تبسيط المادة البلاغية لتلائم فهم القارئ أو المتلقي البسيط، وهذه حاجة تدعو إلى إعادة القراءة في مفاهيم البلاغة الكلاسيكية.

"يقدم **بيرلمان** تعريفا جديدا للحجاج خاصة وأن معظم أنواع الخطاب بوظيفة الحجاج، الذي يمثل في جوهره حمل المتلقي على الإقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع، فمصطلح الحجاج عنده قائم على الإقناع، معتبرا أن غاية الحجاج الأساسية هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه للقيام بالعمل"[34].

وقد أورد كل من **بيرلمان** و **تتيكا** (*Tyteca*) في العمل المشترك الذي قدماه «دراسة الحجاج» بأن مفهوم الحجاج يتمثل في درجة تأثير المخاطِب على المخاطَب واستمالته لأطروحته محل الجدل لإذعانه من خلال تقديم آراء ومواقف مختلفة والتي تمثل حججا في الغالب.

وقد درسا في الكتاب نفسه التقنيات التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بالموضوعات المعروضة عليها أو تزيد في درجة ذلك التسليم، والحجاج في نظرهما يتجاوز فيما هو حقيقي

مثبت محدد إلى تناول حقائق متعددة ومتدرجة، مع العلم أنه قائم على الاختلاف، إلا أنه شرطه عندهما يقوم على موضوعية الحوار القائم على التعاون بين المحاجج والمحاجَج لا يقف فيه المتكلم موقف الخصم العنيد، ذلك أن غايته مبنية على استمالة المتلقي لما يعرض عليه بواسطة وسائل التأثير في عواطفه وخيالاته وإقناعه، وعلى سبيل الذكر لا الحصر فإن منطلقات الحجاج عند **بيرلمان** كما يلي:[35]

- التأثير في المخاطبين بمختلف مستوياتهم.
- الإبتعاد عن المغالطات والتحريض.
- التأثير العلمي القائم على أسس عقلية.

وقد قسم وظائفه إلى:

- الإقناع الفردي الخالص.
- الإعداد لقبول أطروحة ما.
- الدفع إلى الفعل.

ويتميز الحجاج عند **بيرلمان** بخمسة ملامح رئيسية:

- أن يتوجه إلى مستمع.
- يعبر عنه بلغة طبيعية.
- أن تكون مسلماته لا تعدو كونها اجتماعية.
- ألا يقتصر تقدمه (تناميه) إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
- أن تكون نتائجه غير ملزمة (إحتمالية غير حتمية).

وفي إطار بحثه عن هذه الآليات نجده يقسم الحجاج إلى قسمين بحسب نوع الجمهور:[36]

الأول: الحجاج الإقناعي(*Persuasive argument*) هدفه إقناع الجمهور الخاص ولا يتحقق الإقناع إلا بمخاطبة الخيال والعاطفة وهو ما يضيّق من هامش فرصة العقل وحرية الاختبار.

الثاني: الحجاج الإقتناعي (*Convincing arguments*): يقوم على العقلنة والحرية.

وهكذا جعل **بيرلمان و تتيكا** للحجاج بعدين أحدهما عقلي والآخر حسي، وقد اقتصرت على ذكر الحجاج عند **بيرلمان** و **وتتيكا** ذلك أن "مبحث الحجاج حديثا اعتمد على ما ذكر من أعمالها، وعلى أعمال الآخرين نحو **تولين**(*Toulmin*) و **ديكرو** و **أنسكومبر** (*Anscombre*)"[37]، فجهد هؤلاء تم عرضه من خلال مجموعة من الكتب (**تولين** *the uses argument*) دراسة في الأدوات الحجاجية في الاستخدام العادي للغة محاولا إعطاء الحجاج سمة العقلانية وإكسابه مظهرا منطقيا يستند على تنظيم الحجج بالتعليل على اعتبار أنها وظيفة أساسية في الحجاج، أما **ديكرو** و **أنسكومبر**(*Argumentation in the language*)" عرضا فيه مفهوم الحجاج وآلياته بمفهوم يختلف عن سابقيه، ذلك أنه حجاج لساني لغوي بحث، وقد حصراه في اللغة ودراستها دون الاهتمام بما هو خارجها، فيقوم المتكلم بتقديم قول (ق1) يقضي إلى التسليم بقول آخر (ق2)، فهو إنجاز لعمليتين هما: عمل صريح بالحجة من ناحية، وعمل بالاستنتاج من ناحية أخرى سواء كانت النتيجة مصرحة بها أم مفهومة من (ق1)."[38]

من خلال كل ما سبق ذكره فإن أهمية التداولية تتجلى في كونها مشروعا شاسعا انطلاقا من لسانيات الكلام التي تأتي في المرتبة الثانية بعد لسانيات اللغة، إذ اهتمت بالنص والخطاب من خلال دراسة المناحي المتعلقة بكل واحد منهما كالمحاججة وعناصر التواصل كالمتلفظ والمتلقي وكذا ظروف انتاج الملفوظ، مع مراعاة مقاصد المتكلم والتأثيرات الناتجة عن فعل القول في إطار ما يعرف بنظرية أفعال الكلام.

الهوامش والإحالات:

1- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط2، 2012، ص5،

2- آن ريبول – جاك موشلار- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس- محمد الشيباني- ، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص29.

3- المرجع نفسه، ص29.

4- ينظر: نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والاجراءات، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط1، 2009، ص23-24.

5- خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، مرجع سابق، ص107.

6- ينظر: هدى عبد الغني باز، في العلاقة بين تحليل الخطاب والتداولية، نموذج تطبيقي من جريدة التبكيت والتنكيت، مجلة جسور، ع1، القاهرة، ص3.

7- المرجع نفسه، ص3.

8- المرجع نفسه، ص 2.

9- دومنيك منغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، منشورات الإختلاف، ط1، 2008، الجزائر العاصمة، الجزائر، ص9.

10- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص40.

11- نواري درقاوي كلثوم، تعليمية التعبير الشفهي من خلال النص المسموع لدى تلاميذ السنة الأولى من التعليم الابتدائي، مجلة لغة – كلام، م3، ع1، 2017، ص: 112.

12- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص40.
13- ينظر: المرجع نفسه، ص41-42.
14- ينظر أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص21. ومحمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2002، ص49.
15- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، مرجع سابق، ص122.
16- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، 1992، ص24.
17- فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ط1، 1987، ص62-63.
18- خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، مرجع سابق، ص79.
19- المرجع نفسه، ص80.
20- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، دط، 2002، ص49.
21- جان سيرفوني، الملفوظية، تر: قاسم المقداد، دمشق، منشورات إتحاد كتاب العرب، 1998، ص125.
22- ينظر: المرجع نفسه، ص7.
23- المرجع نفسه، ص7.
24- دومنيك منغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص51.
25- المرجع نفسه، ص51.
26- خليفة بوجادي، مرجع سابق، ص84.
27- المرجع نفسه، ص84.
28- ابن منظور، لسان العرب، مادة حجج، ص570.
29- Le Robert, Dictionnaire de Français, (éd) Martyn Back, et Silke Zimmermann, Paris, 2005, p23.
تر: حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر إستقصاء نظري، [مقال] ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ج3، ص32.
30- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي، العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص226.
31- محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2005، ص19.
32- فليب بروتون- جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العالمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط1، 2001، ص42.
33- باتريك شارودو – دومنيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سينترا، تونس، 2008، ص512.
34- بيرلمان و تتيكا، مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة، المطابع الجامعية، ليون، 1981، ج1، ص13، نقلا عن سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحدي، إربد، الأردن، ط2، 2011، ص21.
35- ينظر محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، دط، 2008، ص108.
36- المرجع نفسه، ص108-109.
37- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص87.
38- المرجع نفسه، ص87.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن منظور، لسان العرب.
2- آن ريبول – جاك موشلار- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس- محمد الشيباني- ، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
3- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص21. ومحمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2002..
4- باتريك شارودو – دومنيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سينترا، تونس، 2008.
5- بيرلمان و تتيكا، مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة، المطابع الجامعية، ليون، 1981، ج1، ص13، نقلا عن سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحدي، إربد، الأردن، ط2، 2011.
6- جان سيرفوني، الملفوظية، تر: قاسم المقداد، دمشق، منشورات إتحاد كتاب العرب، 1998.
7- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، 1992.
8- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط2، 2012.
9- دومنيك منغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، منشورات الإختلاف، ط1، 2008، الجزائر العاصمة، الجزائر..
10- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي، العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998.
11- فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ط1، 1987.
12- فليب بروتون- جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العالمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط1، 2001.

13- محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2005.

14- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، دط، 2008.

15- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، دط، 2002.

16- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.

17- نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والاجراءات، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط1، 2009.

18- هدى عبد الغني باز، في العلاقة بين تحليل الخطاب والتداولية، نموذج تطبيقي من جريدة التبكيت والتنكيت، مجلة جسور، العدد1، القاهرة.

19- Le Robert, Dictionnaire de Français, (éd) Martyn Back et Silke Zimmermann, Paris, 2005

تر: حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر إستقصاء نظري، [مقال] ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ج3.